

التحرير والتنوير

وقرأ الجمهور (إنا لمغرمون) بهمزة واحدة وهي همزة (إن) وقرأه أبو بكر عن عاصم (أنا) بهمزتين همزة استفهام وهمزة (أن) .

(أفرأيت الماء الذي تشربون [68] أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون [69]) هذا على طريقة قوله (فرأيتم ما تحرثون) الآية تفريعا واستفهاما وفعل رؤية .

ومناسبة الانتقال أن الحرث إنما ينبت زرعه وشجره بالماء فانتقل من الاستدلال لتكوين النبات إلى الاستدلال بتكوين الماء الذي به حياة الزرع والشجر . ووصف (الماء) ب (الذي تشبون) إدماج للمنة في الاستدلال أي الماء العذب الذي يشربونه فإن شرب الماء من أعظم النعم على الإنسان ليقابل بقوله بعده (لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) .

والمراد ماء المطر ولذلك قال (أنتم أنزلتموه من المزن) والمراد : أنزلتموه على بلادكم وحروثكم . وماء المطر هو معظم شراب العرب المخاطبين حينئذ ولذلك يقال للعرب : بنو ماء السماء .

والمزن : جمع اسم مزنة وهي السحابة .

ووجه الاستدلال إنشاء ما به الحياة بعد أن كان معدوما بأن كونه □□ تعالى في السحاب بحكمة تكوين الماء . فكما استدل بإيجاد الحي من أجزاء ميتة في خلق الإنسان والنبات استدل بإيجاد ما به الحياة عن عدم تقريبا لإعادة الأجسام بحكمة دقيقة خفية أي يجوز أن يمطر □□ مطرا على ذوات الأجساد الإنسانية يكون سببا في تخلقها أجسادا كاملة كما كانت أصولها كما تتكون الشجرة من نواة أصلها وقد تم الاستدلال على البعث عند قوله (أم نحن المنزلون) .

وقوله (أنتم أنزلتموه من المزن) جعل استدلالا منوطا بإنزال الماء من المزن على طريقة الكتابة بإنزاله عن تكوينه صالحا للشرب لأن إنزاله هو الذي يحصل منه الانتفاع به ولذلك وصف بقوله (الذي تشربون) . وأعقب بقوله (لو نشاء جعلناه أجاجا) فحصل بين الجملتين اتباك كأنه قيل : أنتم خلقتموه عذبا صالحا للشرب وأنزلتموه من المزن لو نشاء جعلناه أجاجا ولأمسكناه في صحابته أو أنزلناه على البحار أو الخلاء فلم تنتفعوا به .

(لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون [70]) موقعها كموقع جملة (لو نشاء لجعلناه حطاما) والمعنى : لو نشاء جعلناه غير نافع لكم . فهذا استدلال بأنه قادر على نقص ما في الماء من الصلاحية للنفع بعد وجود صورة المائية فيه . فوزان هذا وزان قوله (نحن قدرنا بينكم الموت) وقوله (لو نشاء لجعلناه حطاما) .

وتخلص من هذا التتميم إلى الامتنان بقوله (فلولا تشكرون) تحضيضاً لهم على الشكر ونبذ الكفر والشرك .

وحذفت اللام التي شأنها أن تدخل على جواب (لو) الماضي المثبت لأنها لام زائدة لا تفيد إلا التوكيد فكان حذفها إيجازاً للكلام .

للألفية الأشموني شرح على حاشيته في التونسي الحجري سعيد بن محمد الشيخ وذكر A E المسماة " زواهر الكواكب " عن كتاب " البرهان في إعجاز القرآن " هذا الاسم سمي به كتابان أحدهما لكمال الدين محمد المعروف بابن الزملكاني والثاني لابن أبي الأصبع أنه قال : فإن قيل لم أكد الفعل باللام في الزرع ولم يؤكد في الماء قلت : لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يعود حطاماً مما يحتمل أنه من فعل الزارع أو أنه من سقي الماء وجفافه من عدم السقي فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك على الحقيقة وأنه قادر على جعله حطاماً في حال نموه لو شاء وإنزال الماء من السماء مما لا يتوهم أن لأحد قدرة عليه غير الله تعالى اه .

وحذف هذه اللام قليل إلا إذا وقعت (لو) وشرطها صلة لموصول فيكثر حذف هذه اللام للطول وهو الذي جزم به ابن مالك في التسهيل وتبعه الرضي كقوله تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم) وإن قال المرادي والدمايني في شرحيهما إن هذا لا يعرف لغير المصنف قال الرضي : وكذلك إذا طال الشرط بذيوله كقوله تعالى (ولو أن ما في الأرض من شجر أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أي وأما في غير ذلك فحذف اللام قليل ولكنه تكرر في القرآن في عدة مواضع منها هذه الآية . وللغفر كلام في ضابط حذف هذه اللام ليس له تمام .

(أفرايتم النار التي تورون [71] أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون [72])

هو مثل سابقه في نظم الكلام